

العلاّمة نوري جعفر

عالم في التربية ورائد في التنوير والاصلاح

اعداد وتحرير توفيق التميمي - القسم الاخير

مؤلفاته حسب التسلسل

قائمة ببلو غرافيا باصدارته ومؤلفاته الموسوعية حسب زمن اصدارها:

الكتب:

1- السلطة والفرد مترجم لبرانتد رسل م المعارف 1950
2- التربية وفلسفتها 1952
3- وقائع تزوير انتخابات النواب 1954
4- التاريخ مجاله وفلسفته بغداد م الزهراء 1954
5- جون ديوي ،حياته ..فلسفته م الزهراء 1954
6- العلوم الطبيعية واثرها في سير المدنية الحديثة 1956
7- علي ومناوئوه بغداد 1956
8- فلسفة الحكم عند الامام علي بغداد 1957
9- المبادئ والرجال بغداد 1958
10- الثورة مقدماتها ونتائجها بغداد 1958
11- فلسفة التربية بغداد 1959
12- اقتراحات لتطوير التعليم في العراق اتحاد الادباء 1962
13- الفكر طبيعته وتطوره، منشورات الجامعة الليبية 1970
14- الجهاز المركزي العصبي بغداد 1971
15- اللغة والفكر الرباط 1971
16- الاصالة في شعر المتنبي 1976
17- طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف 1977
18- التقدم العلمي والتكنلوجي 1978
19- الاصالة في مجال العلم والفن 1979
20- الفكر التربوي الاشتراكي 1981
21- الجوانب السيكولوجية في ادب الجاحظ 1981
22- آراء ومواقف تربوية ونفسية في التراث 1982
23- دور مؤسسات التربية في مجال التنمية الاقتصادية 1983
24- الخيال العلمي في ادب الاطفال 1985
25- طبيعة النوم والاحلام 1986
26- مع الحريري في مقاماته 1986
27- افاق تربوية رحبة 1987
28- رعاية الطفل في الاسرة 1987
29- الحب بين القلب والدماغ 1987
30- ادب قصص الخيال العلمي وعالم الاطفال 1987

تاملات في مؤلفاته

لم يكن نوري جعفر استعراضيا في كتبه او خاضعا لتهديد او اغراء من جهة سلطوية او تمويلية ،بل كانت مؤلفاته تنطلق من دوافعه الذاتية العلمية الخالصة ومدى الحاجة اليها تربويا وعلميا وثقافيا في المكتبة العراقية .ومن هنا ياتي احد اسباب تغييب ذكر هذا المبدع الموسوعي في المحافل وغيابه عن محافل التكريم من قبل الطاغية المقبور صدام وترحاله المستمر تحت الظروف الضاغطة لمواصلة دوره التربوي والتعليمي في امكنة وازمنة خارج بلاده .وحتى الكتب التي تم تاليفها زمن سطوة رقابة وزارة الاعلام الصدامي الشديدة انحصرت غاياتها في ترميم الخراب النفسي والتربوي اللذين لحقا بالشخصية العراقية من جراء حماقات وحروب صدام وما صنعته ثقافته واجهزة اعلامه من مفاهيم العسكرة والتعبئة الطارئة على ثقافة العراقيين وما افسدته نظم تربية البعث المؤدلجة من اخلاقيات وقيم في النشء الجديد.

ابداعات وابتكارات

يلاحظ في تلك البيبلو غرافيا التاليفية ان العلامة نوري جعفر موسوعة تاليفية نادرة الوجود ،فهو لم يقتصر بالتاليف على مجال تخصصه وابداعه في علوم التربية وعلوم النفس وفسلجة الدماغ التي ابتكر وابدع وتفرد فيها بابداع نظريات نفسية خاصة به وجديدة ولاول مرة في تاريخ علم النفس ، كنظريته المشهورة في الذكاء والتي خالفت نظرية توريث الذكاء الفطري وكشف مراميها الوحشية الفاسدة لدعم النظام الراسمالي المعادي للانسانية وتفنيد نظرية التفوق على اساس العرق والجينات العنصرية ، ونظريته التي اختص بها وطور ما قبله من نظريات العلماء الذين سبقوه كيونغ وفرويد بعد ان اعطاها اللبوس العربي والنكهة الاسلامية وهي فرضية (النبوغ والابتكار) ،ونظريته الخاصة في الدوافع النفسية المساهمة في ابداعات الرموز التراثية في مختلف العلوم والاداب بما اسماها التحفيز الدماغي وتحدي الاستجابة القدرية وهو بذلك نقل نظرية عالم المؤرخ توينبي(التحدي والاستجابة)من التاريخ الى حقول علم النفس والنبوغ ،وهذه من الثيمات الابتكارية وحدها ما تستحق من بلاده ومؤرخيها الوقوف اجلالا واكراما لهذا العلامة واستجلاء محطاته التاليفية وتسليط الاضواء عليها..

مد وجزر

هذا الكاتب الذي لم يتوقف عن عطائه التاليفي طيلة سنوات عمره الشريف والمكللة بالابداع والتفاني ،حيث لم تخل سنة من سنوات حياته من اصدار او كتاب في مجال من مجالات الابداع رغم ظروف العراق السياسية وتحولاته الانقلابية لاسيما بعد العهد الملكي والسنوات الاولى من حكم الزعيم قاسم ، حيث تحولت مؤلفات المفكر والعلامة نوري جعفر من مجال التاريخ وفلسفته والسياسة ونظرياتها الى حقل التربية وعلومها المحضة تفاديا للمواجهة المباشرة مع السلطات التي حكمت العراق منذ مطلع الستينيات حتى نهاية الالفية الثانية ، حيث بعد مقتل الزعيم قاسم سادت العراق اجواء الرعب وارهاب العلماء وتهديد المبدعين امثال نوري جعفر .ولذا نلاحظ توقفه عن الكتابة والتاليف خلال السنوات التي سيطر عليها جلاوزة الحرس القومي على الحكم وكذلك تباعد مؤلفاته في زمن سطوة الدكتاتورية الصدامية وحذره الشديد في اختيار موضوعاتها وترجماته والابتعاد عن الموضوعات التي تستفز رقابة السلطة والتي ترتبط بموضوعات الاصلاح والتنوير وفلسفة التاريخ والثورات والتي كان من خلالها يربط مجد الماضي ببؤس الواقع والتي عالجها خلال مؤلفاته في الخمسينيات ومطلع الستينيات من القرن السابق.

صمت مشبوه

الصمت الذي لف غياب نوري جعفر في غربته بعيدا عن بلاده وعدم نشر خبر واحد في صحف دوريات السلطة عنه او عن نشاطاته العلمية ومؤلفاته يدل دلالة بالغة على حجم الحقد الذي تكنه السلطة البعثية القائمة آنذاك لنوري جعفر وتراثه العلمي والاكاديمي الذي يخالف هذه السلطة نهجا وغاية .لاسيما في سلسلة مؤلفاته التي انارت الطريق للاجيال ووضعت الاسس القويمة في علوم التربية والنفس والتراث ،وهي ركائز تعتمد عليها فلسفة النهوض ومقارعة الخراب الروحي والنفسي التي سببته حماقات السلطات وحروبها.

سلسلة مؤلفات نوري جعفر تشعرنا بافتقاد ذلك النموذج العالم المربي العراقي الذي يرصد ويربي ويراقب الخراب دون هوادة ويمضي في تاليف كتبه ورسائله غير هياب بما سيلاقيه من مخاطر وتهديدات وهو يحمل خشبة الشاعر الكميت ليصلب عليها فداء للكلمة الشريفة والحقيقة المضيعة بين انياب السلطة والكتب المزورة والكتاب الماجورين . هذه النظرة العاجلة والسريعة في مؤلفات نوري جعفر لم تشمل بالطبع الاف الرسائل العلمية المنشورة في الصحف والدوريات الاجنبية طيلة عقود من سنين الانجاز التربوي والعلمي والتاليفي والاكاديمي.

مواقف واقوال

*في العهد الملكي ساله مجموعة من طلابه عن رايه بقيامهم ثورة ضد الحكم الملكي فاجابهم حسب ذاكرة ابنته نجود بالتالي:

(الثورة الحقيقية هي في الصف الذي يعلمك الثورة ويعلمك كيف تصنع الثورات!) وكان نوري جعفر يرى ويتطلع من عمق ذلك الزمن بما سيؤول به مصير ثورات الربيع العربي التي سادها الهياج والانفعال والاحتجاج على السلطات الدكتاتورية ولكنها تحركت في مجتمعات تفتقر الى ارضية العلم ومناخاته والشروط التاريخية التي تنمو فيها شجرة الديمقراطية ودولة المؤسسات المدنية بشكل طبيعي ومرن.

*في عام 1977 نال الدكتور نوري جعفر لقب خامس عالم في الكون فوجهت له الدعوة من الرئيس العراقي آنذاك احمد حسن البكر للقائه في القصر الجمهوري واشاد البكر بعلمه كاول عالم عراقي في مجال نظريات الابداع واليات الدماغ وعرض عليه ان يكون مستشارا علميا في القصر الجمهوري فاجابه العلامة نوري جعفر :((اعتذر عن قبول المنصب فانا رجل اكاديمي مكاني الحقيقي هو الجامعة))

وفي هذا درس لرسالة العلم والعلماء الحقيقيين الذين لاتغريهم المغريات ولاتخضعهم التهديدات وتحرك كلماتهم ومواقفهم الحقيقية والحقيقة وحدها فقط مهما كان طريقها محاطا بالمخاطر والتضحيات.

محاور تنويرية في منظومته الفكرية والتربوية:

1- دعوة تنويرية

سلط الضوء على الجانب التنويري في التراث العربي والاسلامي وسبق كثير من المفكرين العرب والمسلمين الذين دعوا لمراجعة التراث وقراءاته قراءة مغايرة للقراءة التقليدية السائدة ،فقد كان رائدا في دعوته التنويرية تلك ،ورائدا في توظيف آليات علم النفس في قراءة الرموز التراثية التنويرية ،فعلاقته بالتراث العربي والاسلامي كانت علاقة متينة جدا وكان يريد ايصال رسالة من خلال هذه العلاقة الى المجتمع والمثقفين مفادها : بان تراثنا خصب ونستطيع الاعتماد عليه ولكن ليس علينا ان نقبله كله كما وصلنا بالجملة دون تمحيص او تدقيق.

فدعوة نوري جعفر للتراث هي دعوة تنويرية حيث يقول بما نصه (ان التراث العربي الاسلامي مفعم بالامثلة الكثيرة والرائعة والتي تتضمن اراء ومواقف سياسية واجتماعية ذات مضامين تربوية بالغة الاهمية)وفعلا تمكن نوري جعفر من تسليط الضوء على جوانب تنويرية من خلال كتابه (الجوانب السيكولوجية في ادب الجاحظ) ،و(آراء ومواقف تربوية ونفسية في التراث)وكتابه (مع الحريري في مقاماته).

2- مشروعه التربوي

ربط العلامة نوري جعفر مشروعه التربوي وفلسفته على اساس مدى قدرة هذا المشروع للاستفادة من معطيات لحظة الحداثة وانتاجها في تعجيل وتائر التقدم والتنمية ،وربط ذلك بالمنظومة القيمية والتنويرية من الموروث العربي والاسلامي وألف في هذا الاتجاه عشرات الكتب والقى مئات المحاضرات في بث افكاره ورؤيته: يقول الراحل نوري جعفر (كان املي كبيرا بأن يصبح مشروعنا التربوي في المستقبل غير البعيد مثالاً نموذجيا رائعا يحتذى به في ارجاء البلاد العربية والدول النامية ، وان يتحول ايضا بصورة تدريجية الى اكاديمية علمية، ينصرف اعضاء الهيئة التدريسية فيها وطلابها الى اجراء ابحاث علمية اصيلة رائدة نظرية وتطبيقية تقنية، ويعني بذلك مشروعه الوطني في اساليب الكشف عن المواهب العلمية وطبيعتها، وكان يحلم بأن يعرض العراق في هذا المشروع منجزاته العلمية النظرية والتكنولوجية في المحافل العلمية الدولية).

3- اكتشاف المواهب

تتلخص فكرة هذا المشروع بدراسة المواهب وتحديد ماهيتها، والتي يعرفها، انها عبارة عن قدرات عقلية نادرة او فريدة يتصف بها بعض الناس وتعبر عن نفسها عند النضج بأحد الشكلين الاساسيين وهما: الكشف عن رابطة خفية موجودة بين شيئين ماديين مألوفين لم يكشف عنها احد من قبل . والمواهب برأيه ارتباط عضوي بالخيال الذي هو في جوهره الجانب غير الواقعي في حياة الفرد العقلية ، وان كانت عناصره مستمدة في الأصل من البيئة الطبيعية والاجتماعية التي يعيش فيها الأنسان، معنى هذا ان الخيال يعبر عن نفسه في التأليف او الجمع غير المألوف بين أشياء محسوسة متباعدة عن بعضها في الزمان والمكان لغرض اظهارها باشكال جديدة غير مألوفة ايضا، وللخيال درجات متباعدة صاعدة ، وكلما كان الخيال أكثر بعداً عن الواقع في الرياضيات او الشعر مثلاً.

4- التقدم الاجتماعي

يتميز مشروع نوري جعفر الثقافي بشموليته وترابط حلقاته ورؤيته الشاملة الى قضايا الثقافة والعلم والابداع وعدم فصلها عن بعضها كما جرت العادة في ادبيات الثقافة العراقية ،فمثال على ذلك نظرته الى قضية التقدم الاجتماعي وعلاقتها بالتقدم التكنلوجي في المشروع والرؤية التربوية يقول العلامة جعفر ((الاراء الاجتماعية التقدمية هي الاسبق والاهم في هذا المجال ، فقد ثبت ان الاراء الاجتماعية التقدمية هي التي تسبق التقدم العلمي التكنلوجي وتؤدي في الاصل التاريخي الى تقدم المجتمع في اول الامر ،وتمهد السبيل بعد ذلك وعلى اساسه الى التقدم العلمي والتكنلوجي ،وتؤدي ايضا الى تقدم العلاقات الاجتماعية والاسراع في سيرها ،ان الافكار الاجتماعية التقدمية الجديدة هي التي تسبق ايضا حدوث الثورات الاجتماعية وهي احدى عوامل حدوثها))

5- نظرته للفنون والابداع

تستند رؤية نوري جعفر الى ان الفن غير منعزل انعزالا تاما ومطلقا عن نشاط الانسان الاجتماعي الرامي الى السيطرة على الطبيعة واستثمارها لمصلحة الانسان من ناحية كونه في اضعف الاحتمالات عامل حافز للانسان وتنشيطه وحثه على العمل بمختلف الوسائل الفنية المستطاعة :الشعر /المسرح/القصة/ النشيد/ الغناء مثلا(

ويؤكد على ان للتربية الفنية والادبية اثرا عميقا في تكوين شخصية الفرد منذ طفولته المبكرة لانها تصقل مشاعره وتهذب ذوقه وتنمي خياله وتساعد على نشوء قدراته على الابتكار وتغرس في نفسه النظرة الفنية الجمالية للطبيعة الحية والجامدة ويحدد الدكتور العلامة مستويات تعليم الادب والفنون وتعلمه منذ المرحلة الدراسية الاولى .

6- رؤيته الجديدة للتاريخ

دعا نوري جعفر مؤلفي مناهج التاريخ في المدارس والكليات ذات التخصص التركيز على الحركات العلمية والاقتصادية التي شهدها تاريخ العرب والعالم ،وعلى آليات تحول التقدم الفكري والاجتماعي وقوانينهما الشغالة في مسيرة المجتمعات وتقليل الاهتمام بوقائع الحروب والانقلابات العسكرية والسياسية ، كما يجب الاهتمام بنظره بمعالجة مشكلات المجتمع الراهنة لا مجرد الانشغال بدراسة ماضيه فقط ،يقول الباحث ياسر جاسم في هذا الصدد (المستقرئ لافكار العلامة نوري جعفر التي تخص الجانب التاريخي يتبين لديه رؤية نوري جعفر الحداثوية الكبيرة لتقدم المجتمع ،وكيف انه سبق الكثير من المفكرين العرب والمسلمين ممن نكنّ لهم اليوم اشد الاعجاب بهم وبافكارهم كنصر حامد ابو زيد ومحمد اركون والجابري، متناسين نوري جعفر الذي طالب منذ عام 1955وهي سنة تاليفه لكتاب (التاريخ ومجال فلسفته)بضرورة ان تكون دراسة التاريخ منطلقة من الحاضر، اي ندرس التاريخ بما يضمن تنوير الحاضر ولانهتم بالجوانب المظلمة التي وردت في التاريخ والتي يسبب انبثاقها في المجتمع حالة من التخلف الفكري والتراجع في عملية النهضة المرجوة) (ص110من كتاب نوري جعفر رجل النهضة والاصلاح)

7- الوحدة العراقية

لانه يمتلك بصيرة العالم الموسوعي والرائي في مشروعه الثقافي من خلال معيار وطني صارم يوظف معطيات العلم والابتكار ومناهج الادب والتربية والتاريخ في مصلحة الوطن وتقدمه ،فهوبادر قبل اكثر من ستة عقود الى التحذير من افخاخ التشرذم في قوى المجتمع ومكوناته الوطنية من خلال تصدعات مذهبية وعرقية واقليمية ، وكانه يرى منذ تلك اللحظة ما سيؤول اليه تاريخنا بعد تخلصه من حقبة الدكتاتوريات العسكرية وانظمتها الشمولية حيث يقول:

(ان المؤرخ والمدرس المنصف لايتخذ من حوادث وقعت في زمانها وتمت في ظروفها المعينة وسيلة لتصديع الوحدة العراقية في الوقت الحاضر ،اننا عراقيون بغض النظر عن خلافاتنا في الدين او المذهب او اللغة فينبغي ان يكون هدفنا بث الوحدة العراقية لا تصديعها عن طريق التكتل الديني او العنصري او الاقليمي او المذهبي) من كتاب التاريخ مجاله فلسفته 1955،وهنا يلمح الى استثمار وقائع التاريخ المختلف عليها واسقاطها على الواقع الراهن بشكل سلبي لاسيما عبر الخطابين الديني والسياسي.

وكما تقول ابنته نجود : عشق العراق بكل تقلباته السياسية وانعزل بافكاره منزويا وبعيدا من اي تدخل سياسي اكراما لنا من تبعات اي رأي يخالف ما كان عليه الوضع العام القائم انذاك.

سلط الضوء على الجانب التنويري في التراث العربي والاسلامي وسبق كثيراً من المفكرين العرب والمسلمين الذين دعوا لمراجعة التراث وقراءاته قراءة مغايرة للقراءة التقليدية السائدة







